الآفة التاسعة
اتباع الهوى

والآفة التاسعة التى تصيب بعض العاملين ، ويصطلى بنارها العمل الإسلامى إنما هى : « اتباع الهوى » .

وحتى يتطهر منها من ابتلوا أو أصيبوا بها ويتحصّن من غوائلها وخطرها من عافاهم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ منها فإنه لابد من الوقوف على أبعادها ومعالمها ، وتقديم تصور واضح لها .

ولكى نقف على هذه الأبعاد ، وتلك المعالم، ويكون لدينا تصور واضح أو قريب من الواضح عن هذه الآفة، فإننا سنتناولها على النحو التالى:

أولا: مفهوم اتباع الهوى :

اتباع الهوى لغة : لا يمكن أن ينجلى أو يظهر المراد باتباع الهوى لغة ، إلا إذا فسر المراد بالهوى، فماذا يراد بالهوى ؟ يطلق الهوى على عدة معان ، نذكر منها :

أ ـ ميل النفس إلى ما تشتهى [١] .

ب ـ إرادة النفس ما تحب [٢] .

جـ ـ محبة الإنسان الشىء وغلبته على قلبه [٣] .

د ـ عشق الشىء ، وتمكنه من القلب [٤] .

وحقيقة الحال أن هذه المعانى جميعا متقاربة المضمون ، وإن اختلفت العبارة أو اللفظ ، إذ المعنى الأول والثانى يصوّران الهوى فى بدايته على أنه مجرد ميل وإرادة قلبية دون تمكن واستقرار، أما المعنى الثالث فيصوره فى وسطه على أنه حب أو غلبة قلبية يمكن أن تزول بقليل من المجاهدة ، أما المعنى الرابع والأخير فيصوّره فى نهايته على أنه عشق وهيام يسيطران على القلب، ويتمكنان منه، ولا يمكن زوالهما بالمجاهدة إلا بعد جهد جهيد، وزمن طويل.

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز ابادى ٥ / ٣٥٩ .

(٢ـ ٤) بصائر ذوى التمييز ٥ / ٣٥٩ ، ولسان العرب لابن منظور ١٥ / ٣٧٢ .

ولما كان كل معنىً من المعانى المذكورة آنفا ، صالحا لأن يكون فى الخير، وصالحا لأن يكون فى الشر، فقد قال علماء اللغة: إن الهوى إذا أطلق انصرف إلى ما كان شرا أو إلى ما كان مذموما ، فإذا أريد به ما كان خيرا أو ما كان محمودا ، فلابد من تقييد ذلك بوصف أو نحوه كأن يقال: هوىً حسن، وهوىً موافق للصواب [١] .

وإذا انتهينا الآن من تحديد المراد بالهوى لغة فإننا نقول: إن اتباع الهوى فى اللغة: هو السير وراء ما تهوى النفس ، وما تشتهى ، بل ما تحب وتعشق.

اتباع الهوى اصطلاحا : أما المراد باتباع الهوى فى الاصطلاح الشرعى والدعوة، فهو السير وراء ما تهوى النفس وتشتهى، أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل، أو رجوع إلى شرع ، أو تقدير لعاقبة .

ثانيا : حقيقة اتباع الهوى فى ميزان الإسلام :

واتباع الهوى ليس مذموما كله فى نظر الإسلام، بل منه ما هو مذموم، وهو المذكور فى المعنى الاصطلاحى، وهو الذى عناه القرآن الكريم فى قول اللّه ـ عزّ وجلّ: ﴿ فلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أن تَعْدِلُوا﴾ [النساء : ١٣٥] . ﴿ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] ، ﴿وما يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم] . ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ [النازعات] . ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [الاعراف : ١٧٦] . ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠]، وآيات أخرى كثيرة.

كما عناه النبى ﷺ فى قوله : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللّه»[٢] . « بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحا مطاعا، وهوىً متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام . . .»[٣] . «والآخر أسود مربادا، كالكوز

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٥ / ٣٧٢ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب صفة القيامة : باب منه ٤/ ٥٥٠، رقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ١٤٢٣ رقم (٤٢٦٠) ، وأحمد فى : المسند ٤/ ١٢٤ كلهم من حديث شداد بن أوس ﷺ مرفوعا به، وعقّب عليه الترمذى بقوله: «هذا حديث حسن ».

(٣) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الملاحم: باب الأمر والنهى ٤/ ١٢٣ رقم (٤٣٤١) ، والترمذى فى : السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة المائدة ٥/ ٢٤٠ رقم (٣٠٥٨)، وابن ماجه فى: السنن :كتاب الفتن : باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ ٢/ ١٣٣٠، ١٣٣١ رقم (٤٠١٤) كلهم من حديث أبى ثعلبة الخشنى ﷺ مرفوعا به، وتمامه: أن أبا أمية =

مجخيًا، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه »[١] . « . . . وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه »[٢] .

وعناه بعضهم بقوله :

إنى بليت بأربع يرمينني ... بالنبل من قوس لها توتير

إبليس والدنيا ونفسى والهوى ... يا رب أنت على الخلاص قدير[٣]

ومنه ما هو محمود، وهو الموافق لشرع الله، ومنهجه، وهديه، وهو الذى عناه النبى ﷺ بقوله : « لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعا لما جئتكم به »[٤] .

كما عنته عائشة رضي الله عنها بقولها للنبى ﷺ لما أنزل الله تعالى قوله: ﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ** ﴾ [الأحزاب: ٥١] : ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك[٥] .

= الشعبانى قال : سألت أبا ثعلبة الخشنى ، فقلت : يا أبا ثعلبة ، كيف تقول فى هذه الآية : ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ ؟ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوىً متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك ـ يعنى بنفسك ـ ودع عنك العوام ، فإن من ورائكم أيامًا ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم » ، وزادنى غيره قيل : يا رسول الله ، أجر خمسين منهم ؟ قال : « أجر خمسين منكم » وعقب عليه الترمذى بقوله : « هذا حديث حسن غريب » .

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ١/١٢٨، ١٢٩ رقم (١٤٤) ،وأحمد فى: المسند ٥/ ٣٨٦ ، كلاهما من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا به وبنحوه .

(٢) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب السنة : باب شرح السنة ٤/١٩٨رقم (٤٥٩٧)، وأحمد فى: المسند٤/ ١٠٢، كلاهما من حديث أبى عامر الهوزنى، عن معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه مرفوعا به وبنحوه .

(٣) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز ابادى ٥ / ٣٥٩ .

(٤) الحديث أورده السيوطى فى: الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢/ ١٧ من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعا به ، وعزاه إلى الأصبهانى فى : الترغيب .

(٥) الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب التفسير: باب قوله : ﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ** ﴾ : ٦ / ١٤٧ ، وكتاب النكاح : باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد ؟ ٧/ ١٥، ١٦، وأخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الرضاع: باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ٢/ ١٠٨٥، ١٠٨٦ رقم (١٤٦٤) ، وابن ماجه فى: السنن: كتاب النكاح:باب التى وهبت نفسها للنبى ﷺ ١/ ٦٤٤ رقم (٢٠٠٠) ، وأحمد فى:المسند ٦/ ١٥٨، ٢٣٤ ، ٢٦١، كلهم من حديث عائشة ، مرفوعا به وبنحوه .

ثالثا : أسباب اتباع الهوى :

ولاتباع الهوى أسباب تؤدى إليه ، وبواعث توقع فيه ، نذكر منها :

١ـ عدم التعويد على ضبط الهوى منذ الصغر :

أى أن السبب الأول لاتباع الهوى إنما يدور حول عدم التعويد على ضبط هذا الهوى منذ الصغر ، ذلك أن الإنسان قد يلقى من أبويه منذ الصغر حبا مفرطا ، وحنانا فوق المطلوب ، بحيث يطغى هذا الحب ، وذلك الحنان على تنمية الضوابط الفطرية والشرعية التى لابد منها لتنظيم الرغائب أو الدوافع. وحينئذ يكبر هذا الإنسان، ويكبر معه الانسياق وراء العواطف والرغائب ، حتى لو كانت مخالفة للمشروع ، إذ من شبّ على شىء شاب عليه ، إلا من رحم الله ـ عزّ وجلّ .

جاء فى منهج التربية الإسلامية ، قول كاتبه :

« والأم التى ترضع طفلها كلما بكى لكى يسكت؛ أو لأنها لا تطيق أن تسمعه يبكى، تضره بذلك ؛ لأنها لا تعينه على ضبط رغباته، ولا تعوده على ذلك الضبط فى صغره فلا يتعوده فى كبره ، ومن منّا تتركه ظروف الحياة لرغباته يشبعها كما يشاء ؟ وذلك فضلا عن أن المسلم بالذات ينبغى أن يتعلم الضبط ، ويتعوده منذ باكر عمره ؛ لأن الجهاد فى سبيل الله لا يستقيم فى النفس التى لا تستطيع ضبط رغباتها ، فتنساق معها ، وكيف يمكن الجهاد بغير ضبط للشهوات والرغبات ، حتى إن كانت فى دائرة المباح الذى لا إثم فيه فى ذاته ولكنه يصبح إثما حين يشغل عن الجهاد فى سبيل الله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة] .

فكل ما ذكرته الآية ليس محرما فى ذاته ، ولكنه صار فسقا وحراما حين أصبح سببا فى القعود عن الجهاد فى سبيل الله ، وحين رجحت كفته فى ميزان القلب على حب الله ورسوله ، والجهاد فى سبيله .

فما الوسيلة للاستقامة على ميزان الله إلا ضبط هذه الرغبات ، والاستغناء عنها حين تحول بين الإنسان وبين سبيل الله .

والضبط مقدرة يتدرب الإنسان عليها ، وعادة يتعلمها ، وكلما تدرب عليها

وهو صغير كان أقدر عليها، وأكثر تمكنا منها، فيجدها حاضرة فى أعصابه حين تفجؤه الأحداث »[١] .

٢ـ مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم :

والسبب الثانى لاتباع الهوى إنما هو مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم، ذلك أن العواطف أو الدوافع تنمو بالمجالسة وطول الصحبة، وعليه فمن لازم مجالسة أهل الأهواء ، وأدام صحبتهم ، فلابد من تأثره بما هم عليه ، لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية ، عنده قابلية التأثر بغيره من أولئك الناس .

وقد وعى السلف ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ هذا السبب ، فأكثروا من التحذير من مجالسة أهل الأهواء ، بل والتعامل معهم .

أثر عن أبى قلابة قوله : «لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون »[٢] .

وأثر عن الحسن ، وابن سيرين قولهما : «ولا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم»[٣] .

٣ـ ضعف المعرفة الحقة بالله والدار الآخرة :

والسبب الثالث لاتباع الهوى إنما هو ضعف المعرفة الحقة بالله وبالدار الآخرة، ذلك أن من ضعفت معرفته بالله، وأنه وحده له الحكم، وإليه المرجع والمآب، وهو أسرع الحاسبين ، كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿ **أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** (٦٢) ﴾ [الأنعام] ، من كان كذلك لا يقدر ربّه حق قدره ، وبالتالى يفعل ما يفعل غير مبال بما إذا كان ذلك يرضى الله أو يغضبه، ينجيه أو يهلكه.

وقد لفت الحق ـ سبحانه ـ النظر إلى ذلك وهو يتحدث عن الضالين والمكذبين، مبينا أن السبب فى ضلال هؤلاء وتكذيبهم إنما يعود إلى عدم معرفتهم بالله حق المعرفة، وبالتالى عدم تقديرهم له حق قدره، إذ يقول سبحانه: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : ٩١] . ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ**

---

[١] منهج التربية الإسلامية للأستاذ محمد قطب ٢ / ١١٣ .

[٢] الأثر أخرجه الدارمى فى: السنن : المقدمة : باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة ١/ ١٠٨ من حديث أيوب عن أبى قلابة به .

[٣] الأثر أخرجه الدارمى فى: السنن : المقدمة: باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة ١/ ١١٠ .

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾ [الحج] . ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾

[الزمر]

٤ـ تقصير الآخرين فى القيام بواجبهم نحو صاحب الهوى :

والسبب الرابع لاتباع الهوى إنما هو تقصير الآخرين فى القيام بواجبهم نحو صاحب الهوى ، ذلك أن صاحب الهوى إذا رأى ممن حوله استحسانا لما هو عليه ، أو سكوتا وعدم إنكار بأى من وسائل الإنكار ، فإنّه يمضى ويتمادى فيما هو عليه ، حتى يتمكن الهوى من قلبه ، ويسيطر على كل سلوكياته وتصرفاته .

ولعل هذا هو السر فى تأكيد الإسلام على مقاومة المنكرات ، وعدم السكوت عنها ولكن بالأسلوب المناسب، ومع التكرار، نظرا لأن غالبها ناشئ عن اتباع الهوى، إذ يقول الحق سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [آل عمران] . ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥]. ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) ﴾

[النساء]

ولعله السر كذلك فى حرص النبى ﷺ على مجانبة من لمح فيهم ميلا إلى الهوى، وعدم رحابة الصدر لهم ، لعلهم يتوبون أو يذكرون.

جاء عن عبد اللّه بن كعب أنه قال : سمعت كعب بن مالك ، وذكر ابن السرح قصة تخلفه عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك ، قال: ونهى رسول اللّه ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة، حتى إذا طال على تسورت جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى، فسلمت عليه ، فواللّه ما رد على السلام ، ثم ساق خبر توبته [١] .

وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنه اعتل بعير لصفية بنت حيىّ ، وعند زينب فضل ظهر، فقال

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن : كتاب السنة : باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم ٤/١٩٩ رقم (٤٦٠٠) من حديث عبد اللّه بن كعب به .

رسول اللّه ﷺ لزينب : « أعطيها بعيرا » فقالت : أنا أعطى تلك اليهودية ؟ فغضب رسول اللّه ﷺ فهجرها ذا الحجة والمحرّم وبعض صفر [١] .

وجاء عن عمار بن ياسر أنه قال: قدمت على أهلى ، وقد تشققت يداى، فخلفونى بزعفران ، فغدوت على النبى ﷺ فسلمت عليه ، فلم يرد على ، وقال : «اذهب فاغسل هذا عنك » [٢] .

٥ـ حب الدنيا والركون إليها مع نسيان الآخرة :

والسبب الخامس لاتباع الهوى إنما هو حب الدنيا والركون إليها مع نسيان الآخرة ، ذلك أن من أحب الدنيا ، وركن إليها ، ونسى الآخرة يتولد عنده سعى حثيث لتلبية كلّ ما يفرضه هذا الحب ، وذلك الركون، حتى وإن كان مخالفا لمنهج اللّه ، وذلك بعينه هو اتباع الهوى .

وقد لفت المولى النظر إلى هذا السبب فى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨ ﴾

[يونس]

كما لفت إليه النبى ﷺ النظر فى الحديث المذكور آنفا : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللّه » [٣] .

٦ـ الجهل بالعواقب المترتبة على اتّباع الهوى :

والسبب السادس لاتباع الهوى إنما هو الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى ، ذلك أن من جهل عواقب محظور من المحظورات ، وقع فى هذا المحظور دون أدنى اهتمام أو مبالاة .

ولعل هذا السر فى اهتمام الشارع الحكيم بالتذكير بالعواقب المترتبة على المأمورات والمنهيات ، كما أشرنا إلى ذلك غير مرة فيما تقدم من آفات .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب السنة : باب ترك السلام على أهل الأهواء ٤/١٩٩ رقم (٤٦٠٢) من حديث عائشة مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب السنة : باب ترك السلام على أهل الأهواء ٤ / ١٩٩ رقم (٤٦٠١) من حديث عمار بن ياسر ﷺ مرفوعًا به .

(٣) الحديث تقدم تخريجه ص ١٣٠ .

رابعا : آثار اتباع الهوى :

ولاتباع الهوى آثار ضارّة ، وعواقب مهلكة ، سواء أكانت على العاملين أو على العمل الإسلامى ، ودونك هذه الآثار :

أ ـ آثار اتباع الهوى على العاملين :

فمن آثاره على العاملين :

١ ـ نقصان بل تلاشى الطاعة من النفس :

ذلك أن صاحب الهوى ، أو المتبع لهواه يعزّ عليه ، بل ويكبر فى نفسه، أن يطيع غيره ، خالقا كان هذا الغير أو مخلوقا، بسبب أن هذا الهوى قد تمكّن من قلبه، وملك عليه أقطار نفسه ، فصار أسيرا لديه ودافعًا له فى نفس الوقت إلى الغرور ، والتكبّر ، وما جعل اللّه لرجل من قلبين فى جوفه، فإمّا أن يطيع ربّه، وإمّا أن يطيع نفسه وهواه، وشيطانه، وهو ليس بمطيع ربّه ، فلم يبق إلا أن يكون مطيعا لهواه .

٢ ـ مرض القلب ثم قسوته وموته :

ذلك أن صاحب الهوى غارق من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه فى المعاصى والسيئات ، وهذه بدورها لها آثار خطيرة على القلب ، إذ أنّها تنتهى به إلى المرض ثم القسوة أو الموت ، كما قال الرسول ﷺ : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتى يعلو قلبه، ذاك الرّين، الذى ذكره اللّه ـ عز وجل ـ فى القرآن: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»(١)

[المطففين]

وإذا مات القلب ـ وهو لبّ الإنسان وجوهره ـ فماذا بقى لهذا الإنسان ؟ ! إنه لا يبقى له سوى الشحم واللحم، أو بالأحرى الجانب الطينى ، وهو جانب حقير لا قيمة له فى ميزان اللّه .

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب ذكر الذنوب ٢/١٤١٨ رقم (٤٢٤٤)، وأحمد فى: المسند ٢/٢٩٧ كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به، بيد أن ابن ماجه قال: «الران» بدل: « الرين » .

وصدق الرَّسول ﷺ إذ يقول : « إن اللّه لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » [١] .

٣ـ الاستهانة بالذنوب والآثام :

وذلك أن المتّبع لهواه قد قسا قلبه ومات على النحو الذى قدمنا ويوم تقسو القلوب وتموت تكون الاستهانة والاستهتار بالذنوب والآثام ، كما قال النبى ﷺ : « إن المؤمن يرى ذنوبه كأنّه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه ، فقال به هكذا . . . » [٢] .

والاستهانة بالذنوب والآثام هى عين الهلاك ، والبوار ، والخسران المبين.

٤ـ عدم جدوى النصح والإرشاد :

وذلك لأن المتّبع لهواه قد ركب رأسه، وصار عبدا لشهواته،وأنّى لهذا أن يستجيب لنصح، أو ينفع فيه توجيه وإرشاد ؟ ! ولا خير فى قوم لا يتناصحون ولا يقبلون النصيحة[٣] ، ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠].

٥ـ الابتداع فى دين اللّه :

وذلك أن صاحب الهوى يميل كغيره من البشر إلى إثبات ذاته ووجوده ، وهو لا يرضى منهج اللّه طريقا لتحقيق هذا الميل ، فلم يبق إلا أن يبتدع منهاجا يوافق أهواءه وشهواته .

يقول حمّاد بن سلمة : حدّثنى شيخ لهم تاب ـ يعنى الرافضة ـ قال : كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئًا ، جعلناه حديثا [٤] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البرّ والصلة والآداب : باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، ودمه وعرضه ٤ / ١٩٨٧ رقم (٢٥٦٤) ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب القناعة ٢/١٣٨٨ رقم (٤١٤٣)، وأحمد فى: المسند ٢ / ٢٨٥ ، ٥٣٩ كلهم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الدعوات: باب استغفار النبى ﷺ فى اليوم والليلة ٨/ ٨٣، ٨٤، والترمذى فى: السنن: كتاب صفة القيامة : باب منه ٤/٥٦٨ رقم (٢٤٩٧)، وأحمد فى: المسند ١ / ٣٨٣ كلهم من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا به .

(٣) الحديث سبق تخريجه فيما سبق وتقدم من آفات .

(٤) انظر : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع .

والابتداع هو الضلال ، وكل ضلال فى النار، كما يقول النبى ﷺ : « . . . وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة »[١] ، « أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة »[٢] .

٦ـ التخبط وعدم الهداية إلى الطريق المستقيم :

وذلك أن صاحب الهوى بعبوديته لشهواته وميوله، قد أعرض عن مصدر الهداية والتوفيق ، فمن أين يأتيه التوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم ؟ وصدق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى يقول : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٣)** ﴾ [الجاثية] .

٧ـ إضلال الآخرين ، وإبعادهم عن الطريق :

ولا تقتصر هذه الآثار الضارة على صاحب الهوى ، بل كثيرًا ما تتعداه إلى الآخرين ، لاسيّما والسقوط أو البعد عن الطريق سهل مرغوب فيه ، وقد لفت المولى ـ سبحانه وتعالى ـ النظر إلى ذلك فى قوله : ﴿ **وإنّ كثيرًا ليُضِلُّون بأهْوائهم بغير علم** ﴾

[الأنعام : ١١٩]

---

١ جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب السنة : باب فى لزوم السنة ٤/ ٢٠٠ ، ٢٠١ رقم (٤٦٠٧) ، والترمذى فى : السنن : كتاب العلم : باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٥ /٤٣ رقم (٢٦٧٦) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح »، وابن ماجه فى: السنن: المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١/ ١٥، ١٦رقم (٤٢)، والدارمى فى: السنن: المقدمة: باب اتباع السنة١/ ٤٤، ٤٥، وأحمد فى: المسند ٤/ ١٢٦، ١٢٧، كلهم من حديث العرباض ابن سارية ﷺ مرفوعا، ولفظه كما فى أبى داود : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال: « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور . . . » الحديث.

٢ جزء من حديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/ ٥٩٢ رقم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا بلفظ : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ، ومساكم ، ويقول : « بعثت أنا والساعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول : « أما بعد ، فإن خير الحديث . . . » إلى أن يقول : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا فإلى وعلى » .

٨ ـ المصير ورة إلى الجحيم . وبئس المصير :

وأخيرا فإن مَنْ عوقب بكل الآثار التى قدمنا، فإنما مأواه الجحيم، وصدق الله العظيم : ﴿ فأما من طغى (٣٧) وآثر الحياة الدنيا (٣٨) فإن الجحيم هى المأوى (٣٩) ﴾ [النازعات] .

ب ـ آثار اتباع الهوى على العمل الإسلامى :

وأما آثار اتباع الهوى على العمل الإسلامى، فإنها كثيرة نذكر منها :

١ ـ ضعف بل تلاشى كسب الأنصار :

وذلك أن العمل الإسلامى إذا قام على أكتاف ، أو كان فى صفّه، من عرف باتباع الهوى ، فإنه بذلك يسدّ الباب فى وجه الأنصار الجدد ،إذ ليس فيه حينئذ أسوة أو قدوة تغرى بالالتحاق به ، وبذل الغالى والرخيص فى سبيل نصرته ، والمضىّ به قدما إلى الأمام ، وهذا بدوره يؤدى إلى طول الطريق مع كثرة التكاليف .

٢ ـ تفريق أو تمزيق وحدة الصف :

وذلك أن صف العمل الإسلامى إذا اشتمل على أصحاب الأهواء ، فإنهم ينتهون به إلى التمزيق والفرقة ، نظرا لضعف أو تلاشى مبدأ الطاعة عندهم ، وحين تقع هذه الفرقة أو هذا التمزيق ، فقد صار العمل الإسلامى لقمة سائغة فى فم الأعداء .

ولعمرى هذا هو أهم ما يسعى إليه هؤلاء ، حتى يصير حقيقة وواقعا فى هذه الأرض، وحينئذ يتمكنون بواسطته من ضرب العمل الإسلامى أو على الأقل إجهاضه، والرجوع إلى الوراء عشرات السنين .

٣ ـ الحرمان من العون والتأييد الإلهى :

وذلك أن سنة الله فى خلقه مضت أنه لا يمنحهم العون أو التأييد إلا إذا كانوا أهلا لذلك ، حتى إذا مكّن لهم يكونون كما قال سبحانه : ﴿ الذين إن مكّناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ [الحج : ٤١] .

ولعمرى فإن صاحب الهوى بمعصيته لربّه، ولرسوله، ولإمارة المسلمين، يكون سببا فى حجب هذا العون وذلك التأييد الإلهى للعمل الإسلامى .

وما زالت وصايا عمر لأمراء الجيوش الإسلامية وجندها، إبان الفتوحات الإسلامية ترن فى الآذان: إذ قال لسعد بن أبى وقاص حين أمّره على العراق:

يا سعد بن وهيب، لا يغرنك من الله أن قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحبه، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربّهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه، فإنّه الأمر. هذه عظتي إيّاك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين [1].

كما كتب إليه ومن معه من الأجناد:

أما بعد... فإنّي آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوّكم، فإنّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنّما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدّتنا كعدّتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا نُنصر عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إن عدونا شر منا، فلن يسلّط علينا، فربّ قوم سلط عليهم شرّ منهم، كما سلّط على بني إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس فجاسوا خلال الديار، وكان وعدا مفعولا، واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم، وأسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم [2].

خامسا: علاج اتباع الهوى:

وحتى يعالج أصحاب الأهواء أنفسهم، ويقيموها على الجادة، فإنّه لا مناص من اتباع الخطوات الآتية:

١- التذكير بعواقب اتباع الهوى سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي، فإنّ ذلك له دور كبير في تخليص النفس من أهوائها وشهواتها، ما دامت مخالفة لمنهج الله ورسوله.

---

[1] انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٧ / ٣٥، ٣٦.

[2] انظر: الوصايا الخالدة، للشيخ عبد البديع صقر، ص ٤٣.

٢ـ الانقطاع عن مجالسة ومصاحبة أهل الأهواء ، مع الارتماء فى أحضان أهل الصلاح والاستقامة ، فإن ذلك يعين على تحرير النفس من وقوعها أسيرة الأهواء والشهوات .

٣ـ التعريف بالله ـ عزّ وجلّ ـ حقّ المعرفة ، فإنّ ذلك يولّد فى النفس حبّه وإجلاله ، والنزول على حكمه فى كل ما أمر به، وفى كل ما نهى عنه، بل ويربّى فيها كذلك مراقبته وخشيته والطمع فى جنته ، ورضوانه ، والخوف من ناره وعقابه.

٤ـ حياطة الآخرين ورعايتهم لصاحب الهوى ، تارة بالنصيحة المقرونة بآدابها وشروطها، وتارة بإيقاع السلوك الأمثل أمامه، وتارة بالعتاب، وتارة بالتوبيخ والتأنيب، وتارة بالهجر والقطيعة، إلى غير ذلك من أساليب ووسائل الحياطة والرعاية .

٥ـ الوقوف على سير أصحاب الأهواء ، وعاقبتهم ، سواء أكانوا من هذه الأمة أم من الأمم الأخرى، فإن ذلك يولد فى النفس نفورا من اتباع الهوى لئلا تكون حديث كل لسان ، ولئلا ينزل بها من العقاب مثلما نزل بهؤلاء .

٦ـ الوقوف على سير وأخبار من عرفوا بمجاهدة نفوسهم وأهوائهم ، وإلزامها بحدود الله مثل : عمر بن عبد العزيز، والحسن البصرى، ومحمد بن سيرين، والفضيل ابن عياض، وعبد الله بن المبارك ، وغيرهم وغيرهم ، فإن ذلك يحمل على معنى الاقتداء والتأسى ، أو على الأقل المحاكاة والمشابهة .

٧ـ التحذير من الركون إلى الدنيا والاطمئنان بها، مع الربط الشديد بالآخرة بحيث يبتغى المسلم فيما آتاه الله : الدار الآخرة ، ولا ينسى نصيبه من الدنيا إن أمكن ، وإلا آثر الآخرة عن الأولى .

٨ ـ الاستعانة الكاملة بالله ـ عزّ وجلّ ـ فإنه سبحانه يعين من لجأ إليه ، ولاذ بحماه ، وطلب العون والتسديد منه ، وصدق الله إذ يقول فى الحديث القدسى :

« يا عبادى ، كلّكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم »[1] .

---

[1] الجملة قطعة من حديث قدسى طويل أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم الظلم ٤ / ١٩٩٤، ١٩٩٥ رقم (٢٥٧٧) ، والترمذى فى: السنن: كتاب صفة القيامة : باب منه ٤ / ٥٦٦ رقم (٢٤٩٥) ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد: باب ذكر التوبة ٢ / ١٤٢٢ رقم (٤٢٥٧) ، وأحمد فى : المسند ٥/ ١٥٤، ١٦٠، ١٧٧ كلهم من حديث أبى ذر ﷺ مرفوعا بلفظ : « عبادى ، إنى حرّمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرّما فلا تظالموا . . . » الحديث .

٩ـ مجاهدة النفس ، وحملها قسرا على التخلص من أهوائها وشهواتها، من قبل أن يأتى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ للّه .

١٠ـ التذكير بأن السّعادة والراحة والطمأنينة والفوز ، إنّما هى فى اتباع المشروع، لا فى اتّباع ما تملى النفس وما تهوى ، وصدق اللّه إذ يقول : ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣)** ﴾ [طه]. ﴿ **فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)** ﴾ [البقرة].

وفى هذا المعنى يقول القائل :

واعلم بأنّ الفضل فى إيحائه ... لا فى الذى يوحى إليه هواكا